جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية/ قسم التاريخ
السنة الثانية ماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط
مقياس الإستشراق وتاريخ الغرب الإسلامي السنة الجامعية: 2022-2023
الأستاذ إسماعيل بن عبد الله

ملخص المحاضرة الثانية: دو افع الإستشراق

لم يتوجه المستشرقون للدراسات الشرقية من فراغ، بل كان ثمة دوافع حركتهم للقيام بكل هذه الحركة الفكرية على مر عصورها. ومن هذه الدوافع:

1- الدافع الديني:

تأسس هذا الأخير على أيدي الرهبان ونال رعاية الكنيسة عندما ثبت فشل الحروب الصليبية، فاتجهت الكنيسة الغربية إلى التنصير من خلال نافذة الاستشراق، وسعى المنصّرون من خلاله إلى تشويه الإسلام بطرق شتى، فجعل الاستشراق غايته الهجوم على الإسلام في عقيدته وأحكامه وأخلاقه، وتصويره بأنه دين القتل وسفك الدماء والشهوات، كل ذلك من أجل التغطية على فشل الكنيسة واصطدام مبادئها بالعلم والواقع والتاريخ، وتزعزت ثقة الغربيين بالكنيسة التي كانت عندهم المركز العصامي لتعاليمهم وأفكارهم، ومن جهة أخرى خوفًا من انتشار الدين الإسلامي الذي بدأ يزحف شرقًا وغربًا على أيدي الدعاة، والتجار، والرحّالة، وكذا الذين اختلطوا مع المجتمعات الإسلامية، وأخذوا الإسلام من منابعه الأصيلة.

2- الدافع الاستعماري:

لجأ الاستعمار إلى تأسيس مراكز وأكاديميات مختصة بشؤون العالم الإسلامي، وصرف جهودًا جبارة وأموالاً طائلة، لتكون مرافقة مع استعمارها للأمة وبلادها، فاتجه المستشرقون لدراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق، وثروات وتاريخ، وغير ذلك مما يتعلق بها من جغرافية وسكان؛ بغية أن يتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها.

وهكذا كان الاستشراق أداة الاستعمار وعينه في العالم الإسلامي. وإن للاستشراق جنوده المجندين لخدمته بإخلاص، فكان من أبرزهم -على سبيل المثال- المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي (Silvestre de Sacy)، أول أستاذ للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية، والأستاذ والمدير في الكلية الفرنسية. كان متمكنا في الاستشراق، فقد قام بتأليف نشرات باللغة العربية لجيش نابليون بونابرت الكبير. وهو أيضاً ممن خططوا للجيش الفرنسي في اجتياح الجزائر عام 1830م. ومن النماذج الأخرى التي خدمت الاستعمار، المستشرق ماكس مولر (Max Müller) الذي أتقن دراسة اللغة العربية والديانات الشرقية، وأشرف في جامعة أكسفورد على تدريب وتخريج دفعات من الحكام المستعمرين لتسيير الأمور في الهند.

3- الدافع الاقتصادي:

من الدوافع التي حرضت كثيرًا من الغربيين على الدراسات الاستشراقية رغبتهم بغزو البلاد الإسلامية غزوًا اقتصاديًّا، يهدفون فيه إلى الاستيلاء على الأسواق التجارية والمؤسسات المالية المختلفة، وكذلك الاستيلاء على الثروات الأرضية، واستغلال الموارد الطبيعية والحصول عليها بأبخس الأثمان، وإماتة الصناعات المحلية القديمة؛ لتكون بلاد المسلمين بلاد استهلاك لما تصدّره المصانع الآلية الغربية.

وضمن هذا الدافع وجَّهت المؤسسات الاقتصادية الغربية من يهتمون بالدراسات الاستشراقية، ليكونوا وسطاءهم ورسلهم، ومستشاريهم، والمترجمين لهم في مهماتهم، ومطالبهم الاقتصادية؛ أو أبدت استعدادها لاستخدام من يعمل لهم في هذا المجال، فاتجه فريق من الغربيين لهذه الدراسات؛ طمعًا بأن يجدوا أعمالًا لهم لدى المؤسسات الاقتصادية، وظهر أيضًا فريق من الباحثين العلميين اهتم بالدراسات الاستشراقية؛ ليقوم بنشر كتب التراث الإسلامي، والاستفادة من نشرها في تحصيل الثروات التي يحصل عليها الناشرون عادة، وهكذا صارت الدراسات الاستشراقية وسيلة من وسائل كسب المال لكثير من المستشرقين.

4- الدافع السياسي:

بعد تحرر البلاد الإسلامية من الاستعمار رأت الدوائر الاستعمارية أن حاجتها السياسية تقتضي أن يكون لها في قنصلياتها، وسفاراتها، ومندوبيها في الأمم المتحدة، وسائر المؤسسات الدولية من لديهم زاد جيّد من الدراسات الاستشراقية؛ ليقوم لهم هؤلاء بمهمات سياسية متعددة مرتبطة بالشعوب الإسلامية، وبلدان العالم الإسلامي. ومن هذه المهمات:

1- الاتصال بالسياسيين والتفاوض معهم لمعرفة آرائهم واتجاهاتهم.

2- الاتصال برجال الفكر والصحافة للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم.

3- بثُّ الاتجاهات السياسية التي تريدها دولهم فيمن يريدون بثها فيهم، وإقناعهم بها.

4- الاتصال بعملائهم وأجرائهم الذين يخدمون أغراضهم السياسية داخل شعوب الأمة الإسلامية.

وقد ظهر - حقًا - في الآونة الأخيرة في معظم الدول الإسلامية والعربية نوعٌ من التواصل الثقافي بين الملحقيات الثقافية للدول الغربية والطبقات المثقفة من الدول الإسلامية التي تحتضن هذه الملحقيات، وتعقد الندوات العلمية والحفلات الأدبية، بحجة تبادل الآراء والأفكار أو ما سمي في العصر الحديث بالتقارب الديني.

5- الدافع العلمي النزيه:

يتخلل العناصر المذكورة آنفا دافع علمي نزيه، الهدف منه كشف ما تكنّه العلوم والفنون الشرقية من كنوز ثمينة، وبتقدم هذه الدراسات توثقت العلاقات العلمية بين الشرق والغرب، وكان لمؤلفات بعض المستشرقين فضلٌ لا يُنكَر في إدراك الحقيقة الخالدة التي طالما أنكرها الغربيون وهي أن المدنية الأوربية الحديثة مبعثها الشرق وعلومه وحضارته.

وهذا الدافع في المستشرقين يُعد في حقيقة الأمر نادرا جدًّا، فمن المستشرقين نفرٌ قليل أقبلوا على الدراسات الاستشراقية بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم، وأديانها، وثقافاتها، ولغاتها، وكان هؤلاء النفر من المستشرقين أقل خطأ من غيرهم في فهم الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يكونوا يتعمّدون أن يدُسّوا أو يحرّفوا، لذلك جاءت بحوث هؤلاء أقرب إلى الحق، وهي المنهج العلمي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين.

ومن هؤلاء المستشرقين من يعتنق الإسلام بعد أن يدرس الإسلام دراسة عميقة ومجردة، وربما يتحول إلى داعية ومفكر يدافع عن حمى الإسلام وديارة.

الأستاذ إسماعيل بن عبد الله